مهند مصطفى(*)

المسجد الأقصى[1] في الخطاب الديني الصهيوني: من علمنة المقدس إلى استعادته

انطلقت الهبة الشعبية الحالية كهبة دفاع عن المسجد الأقصى المبارك، ورغم أن السياق السياسي المتعلق بالصراع أو التسوية بين إسرائيل والفلسطينيين يحيط بهذه الهبة، إلا أن ما حدث في المسجد الأقصى في تشرين الأول ٢٠١٥ كان الشرارة التي أطلقت هذه الهبة. صاغت إسرائيل روايتها بأن الهبة الفلسطينية الحالية انطلقت مدفوعة بماكينة دعائية وتحريضية ذات طابع ديني وليس لها علاقة بالنضال الوطني الفلسطيني. صحيح، تتفاوت النظرة الفلسطينية للمسجد الأقصى، بين الوطنيّ والدينيّ، وأولوية كل مركب في دفعه لوقود الهبة الشعبية، وهل النضال للسيادة الوطنية يسبق النضال من أجل حرية العبادة، أم أن العبادة هي شرط السيادة؟، هل المسجد الأقصى هو رمز وطنيّ أم دينيّ، أم أن التناقض بينهما هو وهمي ومختلق؟. حول هذه الأسئلة يمكن القول إنه لا حرية عبادة بدون سيادة، ولا سيادة وطنية فلسطينية حقيقية في القدس بدون المسجد الأقصى، والوطنيّ والدينيّ يلتقيان في القضية الفلسطينية شئنا أم أبينا، فالصراع الوطني له مركبات دينية باتت تظهر بكثافة أكبر بعد صعود التيار الإسلامي.

كان لا بد من هذا الاستهلال للولوج إلى النقاش الديني الصهيوني حول المسجد الأقصى، الذي يسمى في الأدبيات القومية والدينية اليهودية، جبل الهيكل (هار هبايت)، وذلك لكي أزعم أن الفرق بين النقاش الفلسطيني وبين الصهيوني أولا ثم الصهيوني الديني ثانيا حول المسجد الأقصى، هو أن الحركة الوطنية الفلسطينية لم تر هذا التوتر بين وطنية المسجد الأقصى ودينيته، فالصراع عليه منذ العشرينات كان مقولبا في الصراع ضد المشروع الصهيونيّ في فلسطين. بينما رافقت المشروع الصهيوني منذ بدايته وحتى الآن ثلاثة مسارات من التوتر في

(*) أستاذ جامعي فلسطيني- أم الفحم.

في شباط ١٩٩٦، أصدرت لجنة حاخامات مجلس المستوطنات، وأعضاؤها هم حاخامات المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة، فتوى دينية تنص على الدخول للمسجد الأقصى، لا بل توصي بذلك. وقد طالبت الفتوى كل حاخام أن يقوم بنفسه بدخول المسجد الأقصى لكي يفقّه أتباعه بتعاليم الطهارة، وكيف يمكن الدخول والصلاة حسب تعاليم الشريعة اليهودية. ويشير عنباري إلى أن الخطوات العملية لهذه الفتوى جاءت في أعقاب الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي اندلعت من المسجد الأقصى، فبعد إغلاق المسجد أمام اليهود لمدة ثلاث سنوات (٢٠٠٠-٢٠٠٣)، ازدادت أعداد اليهود من أبناء المدارس الدينية الصهيونية الذين توافدوا إلى المسجد الأقصى للزيارة والصلاة الفردية الصامتة، وحسب معطيات الشرطة فقد دخل المسجد الأقصى منذ تشرين الثاني ٢٠٠٣ وحتى تشرين الأول ٢٠٠٤، ما يقارب ٧٠ ألف يهودي.

التعامل مع المسجد الأقصى . الأول: التوتر الشديد بين التيار الديني الارثوذكسي الذي أراد الحفاظ على نقاء المقدس الديني في وجه الدنس الصهيوني، وذلك من خلال الابتعاد عنه (أي المقدس) تعزيزا لقداسته، وبين الصهيوني الذي أراد الاقتراب من المقدس الديني من خلال علمنته. وهذا التوتر البالغ درجة الصراع لا يزال حاضرا حتى الآن بين التيارين فيما يتعلق بالمسجد الأقصى . أما المسار الثاني، فهو حالة التوتر بين التيار الصهيوني القومي الذي يريد الحفاظ على علمنة المقدس، وبين التيار الصهيوني الديني الذي يحاول تحريره من علمانيته واستعادته وإرجاعه إلى موقعه المقدس، من خلال الاقتراب منه كمقدس ديني نقيّ بعد نفي حالة العلمانية عنه، والاقتراب منه يهدف إلى الابتعاد عن المشروع الصهيوني السياسي بتحويل «هار هبايت» إلى مركز الخلاص الديني المسياني، بعد تآكل المنظومتين المسيانية والكولونيالية معا بعد اتفاق أوسلو والذي تم بموجبه تسليم أجزاء من «أرض إسرائيل» إلى سلطة فلسطينية، أدت إلى تآكل المشروع السياسي الكولونيالي في السيطرة على أرض إسرائيل، كما أراد اليمين القومي، وتآكل المشروع المسياني الديني، الذي رأى في حرب ١٩٦٧ ، مرحلة أخيرة من الخلاص الرباني كما نظّر لها التيار الديني الصهيوني، مثل غوش ايمونيم. كانت استعادة المقدس وتحريره من العلمنة، تهدف إلى تجديد الخطاب المسياني، وكان المسجد الأقصى مركز هذا التجديد بعد أن كانت الأرض تعبيرا عنه.فالأرض تجمع القومي والديني، بينما ينحصر الديني في المقدس النقيّ، وإذا خذلت الأرض المشروع المسياني لأنها تمت علمنتها، فإن المقدس النقيّ يأبى العلمنة أو قابل للتحرر منها. وهنا يظهر الفرق بين التيار اليهودي الارثوذكسي وبين الصهيوني الدينيّ، ففي حين أن الأول رفض علمنة المقدس من خلال الابتعاد عنه، رفض الثاني علمنة المقدس من خلال الاقتراب منه.

ويتجلى المسار الثالث في التوتر الحاصل حول مركز المنظومة المسيانية داخل التيار المسياني الصهيوني الديني نفسه، ففي حين وضعت المسيانية الدينية الصهيونية بعد حرب ١٩٦٧ ، الأرض في مركز الخلاص النهائي لشعب إسرائيل (شعب إسرائيل بمفهومه الديني وليس القومي)، وحولتها بذاتها إلى مقدس ديني، وحيّدت «جبل الهيكل» من منظومتها المسيانية أو أجلته، نشأت مسيانية صهيونية دينية جديدة في عقد التسعينات، تعمل على وضع «جبل الهيكل» في مركز المنظومة المسيانية، والأرض تحولت إلى أطرافها، وساهم اتفاق أوسلو وما تبعه في تعزيز هذا التوجه.

المسجد الأقصى في الخطاب الصهيوني والديني

في شباط ١٩٩٦ ، أصدرت لجنة حاخامات مجلس المستوطنات، وأعضاؤها هم حاخامات المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة، فتوى دينية تنص على الدخول للمسجد الأقصى، لا بل توصي بذلك. وقد طالبت الفتوى كل حاخام أن يقوم بنفسه بدخول

الفلسطينيون في القدس: تصالح كامل مع المكان.

فمثلا، لم يدفع هرتسل بأن تكون القدس عاصمة دولة اليهود، وإذا أصبحت كذلك فيجب فرض سيادة دولية على أماكنها المقدسة، أما بن غوريون فاعتقد، بداية، أن وجود الأماكن المقدسة تحت السيادة اليهودية سيعيق بناء مجتمع حداثي علماني كما تطمح الصهيونية السياسية ومؤسسوها العلمانيون.

المسجد الأقصى لكي يفقّه أتباعه بتعاليم الطهارة، وكيف يمكن الدخول والصلاة حسب تعاليم الشريعة اليهودية.[٢] ويشير عنباري إلى أن الخطوات العملية لهذه الفتوى جاءت في أعقاب الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي اندلعت من المسجد الأقصى، فبعد إغلاق المسجد أمام اليهود لمدة ثلاث سنوات (٢٠٠٠-٢٠٠٣)، ازدادت أعداد اليهود من أبناء المدارس الدينية الصهيونية الذين توافدوا إلى المسجد الأقصى للزيارة والصلاة الفردية الصامتة، وحسب معطيات الشرطة فقد دخل المسجد الأقصى منذ تشرين الثاني ٢٠٠٣ وحتى تشرين الأول ٢٠٠٤، ما يقارب ٧٠ ألف يهودي.[٣]

ما الذي حدث عام ١٩٩٦؟، وما الذي دفع حاخامات من الصهيونية الدينية على إصدار مثل هذه الفتوى، وذلك على الرغم من التحريم والمنع الديني الصارم من دخول المسجد والصلاة فيه، كما تجلى ذلك ليس في موقف التيار اليهودي الارثوذكسي فحسب، بل أيضا في التيار الصهيوني الديني. ولا بد من الإشارة في هذا السياق، أن بنيامين نتنياهو فتح نفقا تحت المسجد الأقصى في العام نفسه، والذي أدى إلى اندلاع انتفاضة النفق الفلسطينية، ومن الصعب الجزم بما لدينا من قرائن أن هنالك علاقة مباشرة بين فتوى الحاخامات وبين فتح النفق سوى العلاقة الكرونولوجية بينهما، الفتوى سبقت فتح النفق، والأخير جاء بعد الفتوى. وفي العام نفسه بدأت الحركة الاسلامية داخل الخط الأخضر بمشروعها «الأقصى في خطر» عبر مهرجانها الأول في تشرين الأول ١٩٩٦، وانطلاقة هذا المشروع في خطابها وعملها السياسي.

قبل الإجابة عن سؤال ما حدث، لا بد من عرض تاريخي لتطور مواقف الصهيونية العلمانية والدينية من قضية المسجد الأقصى .

أدرك قادة الصهيونية الأوائل ومفكروها خطورة المخزون المسياني الذي يرافق صيرورة نفي المنفى وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وحاولوا تغييبه (فكرة دولة في اوغندا لهرتسل)، أو تحييده (الصهيونية الروحية لآحاد هعام)، ومحاولة احتوائه بخلاص قومي سياسي (الصهيونية السياسية). تشير الأبحاث التي رصدت مواقف الصهيونية في بداية طريقها، أن علاقة الصهيونية بالقدس كانت مزدوجة، فمن جهة شددوا على رمزية القدس كقوة جاذبة للمشروع الصهيوني في مخاطبة يهود العالم، ومن جهة ثانية كانوا متخوفين من المخزون المسياني المدمر الذي تحمله الأماكن المقدسة على المشروع القومي والسياسي. فمثلا لم يدفع هرتسل بأن تكون القدس عاصمة دولة اليهود، وإذا أصبحت كذلك فيجب فرض سيادة دولية على أماكنها المقدسة، أما بن غوريون فاعتقد، بداية، أن وجود الأماكن المقدسة تحت السيادة اليهودية سيعيق بناء مجتمع حداثي علماني كما تطمح الصهيونية السياسية ومؤسسوها العلمانيون.

حملت الصهيونية التنقيحية مواقف أخرى بالنسبة للمقدس الديني، فقد رأت أهمية تعزيز المقدس في الخطاب الصهيوني، بما يتجاوز علمنته التقليدية مع الحفاظ على قيودها. ظهر ذلك في خطاب «تحالف البلطجية» (بريت هبيريونيم)، وحركة الاتسيل الذين اعتادوا على إطلاق البوق الديني اليهودي (شوفار) بجانب الحائط الغربي (حائط المبكى) عشية يوم الغفران. ويشير برسيكو إلى أن كلمة «قلب» المستعملة في الخطاب السياسي الحالي، كلما تم الحديث عن القدس بأنها «قلب الشعب اليهودي»، جاءت من وصف الشاعر اليهودي تسيبي غرينبرغ من «تحالف البلطجية» عندما دخل المسجد الأقصى عام ١٩٢٤ وقال بعدها: «القدس هي قلب العالم، وليس هنالك عالم بالمفهوم الالهي، لا يمر عن طريق قلب إسرائيل، في هار هبايت».[٤] إلى جانب «تحالف البلطجية»، ظهر تحالف جديد سمي «تحالف الحشمونائيم» برئاسة الحاخام موشيه سيغال، الذي طالب أعضاؤه لاحقا بمحو المسجد الأقصى وإقامة الهيكل، وسيغال من أعضاء الليحي سابقا.[٥]

كتب يائيرشتيرن قائد منظمة «الليحي» اليهودية، في عام ١٩٤١، دستورا للمنظمة سُمي «مبادئ النهضة»، شملت ١٨ مبدءا فيها خلط بين الديني والقومي بشكل مثير، حيث جاء في البند الأول تحت عنوان «الشعب»، أن «شعب إسرائيل هو شعب مميز، صاحب الدين المميز، مُشرع أخلاق الانبياء...»، وفي البند الرابع تحت عنوان الهدف جاء «١- خلاص الأرض، قيام المملكة، ٣- إحياء الأمة: لن يكون قيام للمملكة بدون خلاص الأرض، ولن يكون إحياء

يشير الباحث الإسرائيلي عفري ايليني إلى أن تأييد الوجود اليهودي في المسجد الأقصى لم يكن موقفا هامشيا في حركات الاتسيل وحيروت، بل أساس مركزي في ايديولوجيتها. وكان خطاب التواجد اليهودي في المسجد الأقصى مركبا أساسيا في خطاب حيروت في العقدين الأوليين بعد قيام الدولة. وامتزج غضب حيروت ضد بن غوريون بين الغضب على قرار الأخير إقصاءها عن المشهد السياسي وإغراق سفينة «التلينا»، وبين «تخليه» عن المسجد الأقصى في حرب ١٩٤٨.

للأمة بدون قيام المملكة»... وفي البند الأخير رقم ١٨ ، «بناء البيت الثالث كرمز للخلاص الكامل». إذن، يعتبر شتيرن أن بناء الهيكل يشكل المدماك الأخير في الخلاص اليهودي.[٦]

يشير الباحث الإسرائيلي عفري ايليني إلى أن تأييد الوجود اليهودي في المسجد الأقصى لم يكن موقفا هامشيا في حركات الاتسيل وحيروت، بل أساس مركزي في ايديولوجيتها. وكان خطاب التواجد اليهودي في المسجد الأقصى مركبا أساسيا في خطاب حيروت في العقدين الأوليين بعد قيام الدولة. وامتزج غضب حيروت ضد بن غوريون بين الغضب على قرار الأخير إقصاءها عن المشهد السياسي وإغراق سفينة «التلينا»، وبين «تخليه» عن المسجد الأقصى في حرب ١٩٤٨ . فقد جاء في صحيفة «حيروت» التابعة للحزب، أن بن غوريون «وجه المدافع القليلة التي كانت بحوزتنا ليس من أجل قصف أسوار البلدة القديمة من أجل احتلال جبل الهيكل، بل باتجاه سفينة كان على متنها وطنيون يهود».[٧] ويشير ايليني أنه بعد احتلال المسجد الأقصى كان أعضاء حيروت أول من دخل المسجد للصلاة فيه، وأهمهم كان غرشون سلومون الذي أسس لاحقا منظمة «أمناء جبل الهيكل»، فهو كان عضوا في حيروت كطالب جامعي، وعشية انتخابات ١٩٧٧ طلب سلومون من بيغن أن يشمل البرنامج السياسي للحزب تغيير الأمر الواقع، وأيده في الفكرة غالبية أعضاء الحركة، إلا أن بيغن عارض إدراجها في البرنامج الانتخابي لأسباب انتخابية، وبعد فوزه في الانتخابات تراجع عن وعده بتغيير الوضع القائم.[٨]

تاريخيا، تماهى التيار المركزي في مدرسة الصهيونية الدينية مع المدرسة اليهودية الارثوذكسية في قضية المسجد الأقصى، وقد عارض الأب الروحي للصهيونية الدينية في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، الحاخام ابراهام يتسحاق هكوهن كوك (١٨٦٥–١٩٣٥)، (لاحقا: كوك الأب)، دخول اليهود للصلاة في المسجد الأقصى وبناء الهيكل. إلا أن مراجعة معمقة لنشاطه ومواقفه توضح أن موقفه هذا، رغم أنه تحول إلى الموقف الرسمي، كان جزء منه موقفا دينيا تمت علمنته، بسبب موازين القوى لصالح التيار الصهيوني السياسي، وبسبب قناعة كوك الأب أن علمنة الدين تصب أحيانا لصالحه. ففي تصور كوك الأب فإن إقامة الهيكل اعتبر «هدفا صهيونيا واضحا».[٩] واعتبر كوك الأب أن السياق التاريخي الحالي، المتمثل بهيمنة التوجهات الصهيونية العلمانية، هو سياق مؤقت، سيتغير لصالح المشروع الصهيوني الديني.[١٠]

تجسدت مركزية المسجد الأقصى في الخلاص الكامل (لاحظ أنه المصطلح نفسه الذي استعمله شتيرن في مبادئه)، في نشاط كوك الأب أيضا، ففي عام ١٩٢١ اقام مدرسة «توراة الكهنة» (توراة كوهنيم)، الهادفة إلى تدريس الفقه وطقوس العمل في الهيكل. انطلقت هذه المدرسة من اعتبار أن «مسيرة الإحياء القومي للحركة الصهيونية، الذي كان مركزها القطيعة عن الدين، من المتوقع لها أن تعود سريعا إلى المقدس، لإكمال الخلاص النهائي وبناء الهيكل».[١١]

تنبهت القيادة الصهيونية لنشاط وخطاب الحاخام كوك، ووجهت له نقدا شديدا على إقامة مدرسة تختص بالهيكل، وسرعان ما وضح الحاخام كوك موقفه بأنه يربط بين بناء الهيكل وبين اعتراف الأغيار بحق اليهود على جبل الهيكل، وشدّد أن نشاطه سيبقى خارج المسجد الأقصى وليس من داخله. وظهر الموقف الرسمي للحاخام كوك الأب خلال شهادته في لجنة «شو» عام ١٩٢٩ ، والتي فحصت

قيادات إسرائيلية في باحة الأقصى بعد احتلال عام ١٩٦٧.

الأحداث الدامية في المسجد الأقصى في العام نفسه، في شهادته أمام اللجنة اقترب كوك الأب من موقف التيار الارثوذكسي الديني، في أهمية الابتعاد عن المقدس (جبل الهيكل)، الخلاص- المتمثل ببناء الهيكل- هو رباني، واليهودي هو في حالة انتظار لهذا الخلاص. وفي كلمات كوك الأب نفسه يظهر ذلك، عندما قال في اللجنة:

«نحن نؤمن بأن الرب سيبعث المسيح، ويعترف به كل العالم الذي سيمتلئ ببركاته، لكن أوامر التوراة بأنه حتى مجيء يوم البعث، فإننا غير مخولين حتى للدخول إلى ساحة الهيكل، أنا متعود في الأعياد اليهودية، بأن أبعث لهم (أي لليهود) تحذيرا، بأن لا يدخلوا هذا المكان المقدس، لأننا لا نستحق ذلك حتى قدوم يوم الخلاص، وحينها سينفذ الأمر بواسطة الرب فقط، بدون أن نقوم بأي فعل لتسريع النهاية».[١٢]

وقد أصدر الحاخام كوك الأب بيانا تحذيريا للعامة باللغتين العبرية والانكليزية يحذر فيه من الدخول إلى المسجد الأقصى ، جاء فيه «إخوتنا الأعزاء القادمين من قريب ومن بعيد لزيارة المدينة المقدسة- القدس، حافظوا على الحظر الصارم من الدخول لمكان الهيكل وجبل الهيكل» (أنظر المنشور [١٣]).

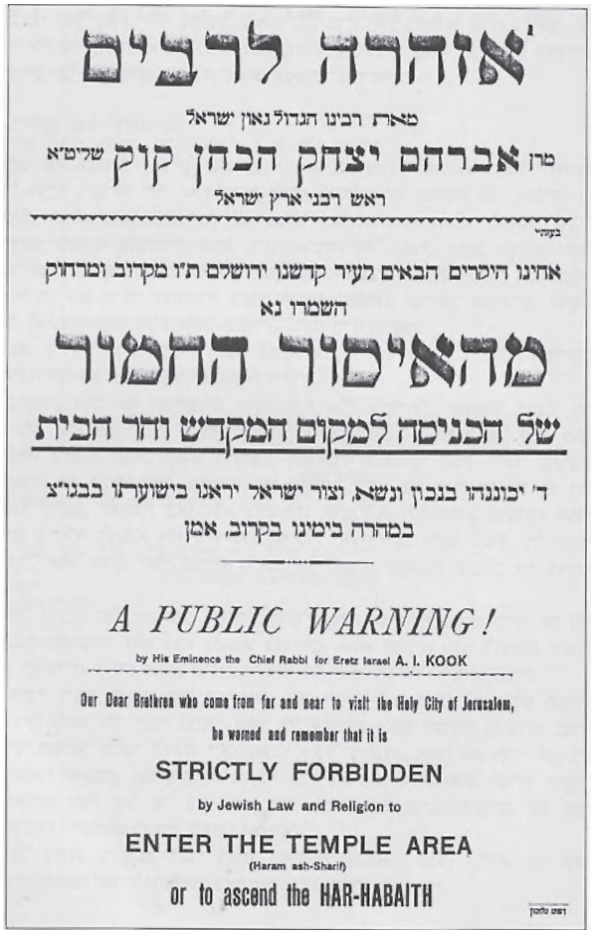
אזהרה לרבים

מאת רבינו הגדול גאון ישראל

מרן אברהם יצחק הכהן קוק שליט"א

ראש רבני ארץ ישראל

בקהל

אחינו היקרים הבאים לעיר קדשנו ירושלם ת"ו מקרוב ומרחוק

השמרו נא

מהאיסור החמור

של הכניסה למקום המקדש והר הבית

ד' יכוננהו בנכון ונשא, וצור ישראל יראנו בישועתו בבנו"צ

במהרה בימינו בקרוב, אמן

A PUBLIC WARNING!

by His Eminence the Chief Rabbi for Eretz Israel A. I. KOOK

Our Dear Brethren who come from far and near to visit the Holy City of Jerusalem,

be warned and remember that it is

STRICTLY FORBIDDEN

by Jewish Law and Religion to

ENTER THE TEMPLE AREA

(Haram ash-Sharif)

or to ascend the HAR-HABAITH

يتضح من تحليل مواقف الحاخام كوك الأب، تكّيفه الديني من المشروع القومي العلماني، وليس العكس، كما يحدث الآن في المشهد الصهيوني-الديني الإسرائيلي. وعلى مسار أبيه، استمر ابنه، الحاخام تسفي يهودا هكوهن كوك (لاحقا: كوك الابن) وهو الأب الروحي للصهيونية الدينية بعد عام ١٩٦٧ ، في حمل مواقف أبيه المناهضة لدخول اليهود إلى المسجد الأقصى ، وتجلت هذه المواقف في مرحلة أصعب من الناحية المسيانية من فترة أبيه. ففي فترة كوب الأب، لم يكن قلب «أرض إسرائيل» النابض بالمقدس تحت السيادة اليهودية، وعلى رأسها القدس، الخليل، بينما عاش كوك الابن في فترة السيطرة اليهودية على قلب «أرض إسرائيل»، ولكنه أبقى الحظر الديني على دخول المسجد الأقصى مكملا ميراث أبيه ومنسجما مع الارثوذكسية اليهودية ومتفهما للحاجة الصهيونية البراغماتية. بدل الهيكل والمسجد الأقصى، ركز كوك الأبن على الأرض، وعوض المقدس المتمثل بجبل الهيكل ببناء مقدس جديد متمثل باحتلال الأرض عبر الاستيطان، وتحولت أفكاره الخلاصية التي كانت «أرض إسرائيل» في مركزها إلى حركة سياسية- غوش ايمونيم.[١٤] لم تظهر في أدبيات مدرسة «مركاز هراب» في القدس الذي كان كوك الابن حاخامها أي ذكر للمسجد الأقصى في موضوع الخلاص.

فقد تحولت المدرسة الدينية «مركاز هراب» إلى أهم مرجعية دينية بالنسبة للمستوطنين الأوائل في الضفة الغربية، وبعد حرب ١٩٦٧ ، أقامت الكثير من المؤسسات الدينية، واندمج خريجوها في سلك التعليم الإسرائيلي، وتجلت مساهمتها الفكرية في تركيزها المكثف على مركزية الأرض، فقد ركز الفكر الديني-الخلاصي الذي نشرته المدرسة على ثلاثة أسس، أولا: التشديد على الأرض من بين الثالوث المقدس (الشعب، التوراة والأرض)، ومنح كل قطعة أرض معنى مقدسا. ثانيا: التشديد على معنى النجاح كمؤشر تاريخي على صحة التصور الصهيوني-الديني. ثالثا: التشديد على دور الشباب الصهيوني المتدين من أجل السيطرة على المشروع العلماني وتوجيه المشروع السياسي، بما تمثله الدولة، في عملية الخلاص النهائية.[١٥]

اختلف الحاخام كوك الابن، عن أبيه الحاخام كوك الأب في درجة قدسية الأرض ومفهوم الخلاص. يوضح الحاخام يوفال شارلو الفرق الديني بينهما، والذي أثر على مواقف المستوطنين وحركة الاستيطان. يشير شارلو أن التجديد الذي فعله كوك الأب كان في إعطاء معنى شامل للمقدس الديني. ففي حين انحصر هذا

لم يكتف كوك الابن بمعارضة دخول المسجد الأقصى والصلاة فيه، بل عارض الحفريات الأثرية داخل المسجد الأقصى، كما أنه خرج ضد الحاخام العسكري شولومو غورن، الذي حاول بعد احتلال المسجد ترسيم حدود جبل الهيكل، وتحديد المساحة التي يمكن لليهود الدخول اليها، فقد قال الحاخام كوك الابن في هذا السياق، «علينا أن نمشي بخشية وخوف حول جبل الهيكل» وفي موقع آخر قال، «جبل الهيكل محاط بسور حوله، ليس لنا أن نتجاوزه، وليست لدينا حاجة بدراسته وبحثه».

المعنى عند اليهودية الأرثوذكسية في تعليم التوراة وإقامة الشعائر الدينية، فإنه يشمل عند كوك الأب مجالات غير محدودة، فقد اعتبر أن كل فعل أنساني (تعليمي، اقتصادي، رياضي، سياسي وغيرها) تدخل في المجال المقدس، كما أنه اعتبر الصهيونية جزءا من المقدس، ليس لذاتها بل لأنها تحقق إرادة الرب بدون وعي قيادتها، واعتبر أن العمل الذي يقوم به الصهيونيون العلمانيون فيه شيء من المقدس لأنهم ينفذون إرادة الرب.[١٦]

لم يكتف كوك الابن بمعارضة دخول المسجد الأقصى والصلاة فيه، بل عارض الحفريات الأثرية داخل المسجد الأقصى، كما أنه خرج ضد الحاخام العسكري شولومو غورن، الذي حاول بعد احتلال المسجد ترسيم حدود جبل الهيكل، وتحديد المساحة التي يمكن لليهود الدخول اليها، فقد قال الحاخام كوك الابن في هذا السياق، «علينا أن نمشي بخشية وخوف حول جبل الهيكل» وفي موقع آخر قال، «جبل الهيكل محاط بسور حوله، ليس لنا أن نتجاوزه، وليست لدينا حاجة بدراسته وبحثه».[١٧]

يعدّ موقف كوك الابن أكثر أهمية من موقف أبيه، وذلك لثلاثة أسباب: أولا: السياق التاريخي الذي تحدث فيه أبوه كان فيه الخلاص مجرد ميتافيزيقيا، غير واقف على أرضية صلبة من السيطرة على الأرض ومعدوم السيادة اليهودية، بينما السياق التاريخي الذي أصدر فيه كوك الابن موقفه كان فيه خطاب الخلاص واقفا على أرض وعلى سيادة بمفهوم الاحتلال للأرض والتحكم بها. ثانيا: في سياق أبيه كان المسجد الأقصى تحت سيطرة «الأغيار» (فلسطينيون وانجليز)، بينما في سياقه كان المسجد الأقصى تحت سيطرة الدولة اليهودية. ثالثا: في سياق أبيه كان المستوطنون الأوائل من التيار الصهيوني العلماني، بينما كان المستوطنون الأوائل، بالأساس، في الضفة الغربية، أي فترة كوك الأبن، من التيار الصهيوني الديني.

صعود مسيانية «جبل الهيكل» في الخطاب الصهيوني الديني

جاء احتلال المسجد الأقصى عام ١٩٦٧، ليشكّل بداية تغيير الصهيونية، فالصهيونية كحركة علمانية استطاعت علمنة الدين والسيطرة عليه رغم هيجانه فيها، كالبركان المليء باللهب والحمم لكنه غير قادر على الانفجار، جاء احتلال القدس والمسجد الأقصى وباقي المواقع الدينية في الضفة الغربية إلهابا لهذه الحمم. استطاعت الصهيونية العلمانية حتى عام ١٩٦٧ التحكم بلهيبها الداخلي، بسبب ابتعادها عن هذه المواقع، وبذلك روضت التصورات المسيانية، التي علمنت ذاتها بذاتها في إطار الصهيونية الدينية التي اعتبرت أن الخلاص هو فعل بشري خاضع لقوانين التاريخ والجغرافيا. مرت خمسة عقود على احتلال المقدسات، ويمكن الادعاء أن الصهيونية ضعفت أمام قوة الجذب المسيانية، وقد حذر باحث الصوفية اليهودية غرشوم شلوم من خطر العودة الفيزيائية إلى مكان الهيكل. وكما يشير باحث الفكر الديني اليهودي، تومر برسيكو، أن هاجس يشعياهو ليفوفيتش كان الخطر المحدق بأخلاقية المجتمع الإسرائيلي من احتلال شعب، بينما كان يخشى غرشوم شلوم من شيء آخر، خطر دخول جبل الهيكل إلى السياسة الإسرائيلية، وضعف الصهيونية في الوقوف أمام المقدس الجديد وقوته المسيانية.[١٨]

وجاءت تخوفات شلوم في مكانها، فبعد الاحتلال قال حاخام دولة إسرائيل (وهو في مكانة مفتي الجمهورية في الدول العربية)، يتسحاق نيسيم، إنه لا يجوز الانسحاب، ليس فقط من الأماكن الدينية اليهودية المقدسة، مثل هار هبايت (الحرم القدسي الشريف)، والجدار الغربي (حائط البراق) بل «لا يوجد حق لأي شخص في إسرائيل، بما في ذلك حكومة إسرائيل، أن تعيد حتى ذرة أرض واحدة داخل حدود أرض إسرائيل الموجودة تحت

جاء احتلال المسجد الأقصى عام ١٩٦٧، ليشكّل بداية تغيير الصهيونية، فالصهيونية كحركة علمانية استطاعت علمنة الدين والسيطرة عليه رغم هيجانه فيها، كالبركان المليء باللهب والحمم لكنه غير قادر على الانفجار، جاء احتلال القدس والمسجد الأقصى وباقي المواقع الدينية في الضفة الغربية إلهابا لهذه الحمم. استطاعت الصهيونية العلمانية حتى عام ١٩٦٧ التحكم بلهيبها الداخلي، بسبب ابتعادها عن هذه المواقع، وبذلك روضت التصورات المسيانية، التي علمنت ذاتها بذاتها في إطار الصهيونية الدينية التي اعتبرت أن الخلاص هو فعل بشري خاضع لقوانين التاريخ والجغرافيا. مرت خمسة عقود على احتلال المقدسات، ويمكن الادعاء أن الصهيونية ضعفت أمام قوة الجذب المسيانية

سيطرتنا».[١٩] بالإضافة إلى حاخام إسرائيل، فقد عبر حاخام الجيش شلومو غورن، أن الانتصار كان تعبيرا عن إرادة الرب، فبعد الحرب، جاب حاخام الجيش في الأراضي المحتلة مخاطبا الجنود أن دولة إسرائيل موجودة بقوة الإرادة الإلهية التي لا يمكن الاستئناف عليها، والجيش يحقق نبوءات آخر الزمان لأنبياء إسرائيل، وحاول غورن –دون نجاح– في بداية الاحتلال تنفيذ السيطرة اليهودية الفعلية على الحرم القدسي الشريف. ويعتبر غورن، الشخصية الدينية المركزية التي بدأت بإدخال المسجد الأقصى في المنظومة المسيانية الدينية الصهيونية، رغم أنه كان يشغل منصبا رسميا في الجيش الإسرائيلي.

شكل (١) صورة مجسمة توضح شكل الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى

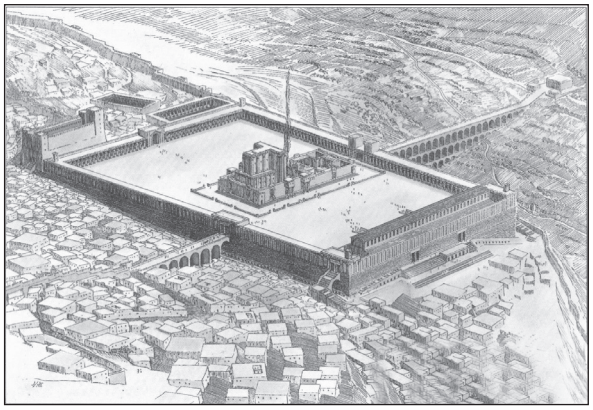

بعد الاحتلال الإسرائيلي، حاولت جهات دينية – وعلى رأسها حاخام الجيش الإسرائيلي، شلومو غورن– السيطرة الفعلية على المسجد الأقصى، إذ رفع الجنود الإسرائيليون العلم الإسرائيلي فوق قبة الصخرة المشرفة، إلا أن موشيه ديان أمرهم بإنزال العلم. كما أصدر مجلس الحاخامات المركزي الرسمي بعد الحرب قرارا بعدم السماح لليهود بالصعود إلى المسجد الأقصى، وسوغ موقفه بمبررات دينية، مثل الادعاء بأنه يتخوف أن يخطئ اليهود في تحديد مكان الهيكل بدقة، وقد انسجم هذا المبرر الديني (الذي أخذ بالتآكل خلال عقود الاحتلال) مع سياسة الحكومة التي دعت اليهود للصلاة جنب الحائط الغربي للمسجد الأقصى، الموسوم يهوديا حائط المبكى، وذلك خشية أن يؤدي صعود اليهود إلى الحرم القدسي إلى إشعال حرب دينية في المنطقة. إلا أن أول ما فعله غورن كان ترسيم مكان «جبل الهيكل» بناء على دراساته التوراتية، وحدد أماكن الصلاة فيها، واستعان بذلك بسلاح الهندسة في الجيش الإسرائيلي، وأفتى ببناء كنيس يهودي في أماكن موازية للمساحة التي حددها.[٢٠]

وقد أمرت الحكومة حاخام الجيش شلومو غورن بالكف عن محاولاته السيطرة على الحرم القدسي الشريف. فقد كتب بن غوريون رسالة إلى ابا ايبان، وزير الخارجية الإسرائيلي، أن «الحاخام غورن يعتقد، على ما يبدو، أن الرب يختبئ في مسجد عمر»، وأكد أنه يستطيع الصلاة جنب الجدار الغربي، فقد خشي بن غوريون، الذي لم يكن في مكانة رسمية وقتئذ، بأن يؤدي الصعود إلى الحرم القدسي الشريف إلى تصعيد التحريض الديني على إسرائيل، وقد وافقه ايبان الرأي.[٢١]

شكل المسجد الأقصى، موضوعا مركزيا في خطاب المستوطنين، ووفر الحاخامات اليهود المستوطنون الوقود الأيديولوجي والثيولوجي للاستيطان والمستوطنين في الأراضي الفلسطينية، وكانت تصريحاتهم وأوامرهم تسبق في أولويتها تشريعات الحكومة وأوامر الجيش لدى المستوطنين من أبناء الصهيونية الدينية. ومن هذه التصريحات مثلا نذكر تصريح الحاخام شلومو افنير، الحاخام

شكل المسجد الأقصى، موضوعا مركزيا في خطاب المستوطنين، ووفر الحاخامات اليهود المستوطنون الوقود الأيديولوجي والثيولوجي للاستيطان والمستوطنين في الأراضي الفلسطينية، وكانت تصريحاتهم وأوامرهم تسبق في أولويتها تشريعات الحكومة وأوامر الجيش لدى المستوطنين من أبناء الصهيونية الدينية. ومن هذه التصريحات مثلا نذكر تصريح الحاخام شلومو افنير، الحاخام السابق لمستوطنة «بيت ايل»، وحاليا حاخام عطيرت كوهنيم، وهي مستوطنة تابعة لمجموعة متطرفة تدعو إلى بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى، فقد طالب بمزيد من التوسع الإقليمي يتعدى الحدود الحالية للأراضي المحتلة.

السابق لمستوطنة «بيت ايل»، وحاليا حاخام عطيرت كوهنيم، وهي مستوطنة تابعة لمجموعة متطرفة تدعو إلى بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى، فقد طالب بمزيد من التوسع الإقليمي يتعدى الحدود الحالية للأراضي المحتلة، قائلا: « وحتى لو كان هناك سلام علينا أن نشعل حروب التحرير لغزو أجزاء أخرى من أرض إسرائيل» (قاصدا الأردن).[٣٢]

يشير عنباري أنه منذ منتصف الثمانينات بدأت مساع حثيثة لطرح مسألة المسجد الأقصى على أجندة الخطاب الاستيطاني، وتمثل ذلك في إقامة «معهد الهيكل» عام ١٩٨٤، وحركة إقامة الهيكل عام ١٩٨٧، وإطلاق سراح يهودا عتصيون، عام ١٩٨٩، الذي كان ناشطا في التنظيم اليهودي الإرهابي، والذي قتل وحاول قتل مدنيين وسياسيين فلسطينيين. أدت هذه التغييرات إلى ضغط جماهيري وجه للمطالبة بالسماح لليهود بدخول المسجد الأقصى. تشكل هذه المسألة تحديا دينيا–شرعيا وتحديا سياسيا، حيث لم يسمح الكثير من الحاخامات اليهود بدخول اليهود إلى المسجد الأقصى لأسباب دينية، ووجه هذا الطلب بالأساس إلى حاخامات الصهيونية الدينية ومستوطني حركة «غوش ايمونيم».

في العام ١٩٩٠، تأسست لجنة حاخامات المجلس الاستيطاني،

الاقصى تحت الاحتلال: «السياسي» يصعد بركان الديني.

يعتقد عنباري، في تحليل رائع لديناميكية الاهتمام بالمسجد الأقصى، أن ذلك جاء بالذات بعد اتفاق أوسلو وإقامة السلطة الفلسطينية على جزء من «أرض إسرائيل»، حيث أدى ذلك على صدمة مسيانية عند حاخامات المستوطنين، لأن إقامة السلطة كانت تعني وقف الحتمية الخلاصية التي نظروا لها منذ العام ١٩٦٧. وكان رد حاخامات المستوطنين، وخصوصا حاخامات مجلس المستوطنات، هو وفرة في الخطاب الخلاصي مقابل التراجع الواقعي لهذا الخطاب، بمعنى أن تناقض الواقع مع النظرة الخلاصية لم يؤد إلى تقليل مستوى الخطاب والتفكير الخلاصي، بل صعّده إلى مستوى آخر، ووجه نحو المسجد الأقصى .

وكانت تهدف إلى إعطاء أجوبة دينية ودعم روحاني للمستوطنين الذي باتت حياتهم صعبة خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ . نهجت اللجنة التي وقف عليها الحاخامات شلومو افينير، اليعازر فلدمان والياكيم لبنون، مواقف منسجمة مع أيديولوجية غوش ايمونيم، وذهبوا إلى أهمية إبعاد نشاط الحاخامات عن السياسية. وقد توجهت الحركات العاملة في موضوع تغيير واقع المسجد الأقصى إلى اللجنة بهدف استصدار موقف ديني يدعم دخول اليهود إلى المسجد الأقصى.

يعتقد عنباري، في تحليل رائع لديناميكية الاهتمام بالمسجد الأقصى، أن ذلك جاء بالذات بعد اتفاق أوسلو وإقامة السلطة الفلسطينية على جزء من «أرض إسرائيل»، حيث أدى ذلك على صدمة مسيانية عند حاخامات المستوطنين، لأن إقامة السلطة كانت تعني وقف الحتمية الخلاصية التي نظروا لها منذ العام ١٩٦٧. وكان رد حاخامات المستوطنين، وخصوصا حاخامات مجلس المستوطنات، هو وفرة في الخطاب الخلاصي مقابل التراجع الواقعي لهذا الخطاب، بمعنى أن تناقض الواقع مع النظرة الخلاصية لم يؤد إلى تقليل مستوى الخطاب والتفكير الخلاصي، بل صعّده إلى مستوى آخر، ووجه نحو المسجد الأقصى ، فبعد انسحاب إسرائيل من أريحا وقطاع غزة في المرحلة الأولى من اتفاق أوسلو، واجه الحاخامات هذا الواقع الضد خلاصي بطرق عديدة، منها، مطالبتهم تكثيف الاستيطان في الضفة الغربية، إصدار فتاوى دينية تعارض إخلاء أجزاء من «أرض إسرائيل»، وإخلاء المستوطنات ومعسكرات الجيش، حيث جاءت هذه الفتوى من «اتحاد الحاخامات من أجل شعب إسرائيل وأرض إسرائيل». وفي عام ١٩٩٥ ، طالب الحاخام شاؤول يسرائيلي، حاخام مدرسة «مركاز هراب» المعروفة، بوقف الدعاء والصلاة لسلامة الدولة، حتى لا تتم مباركة وزرائها وقادتها ومستشاريها.[٢٣]

وهكذا، بدأت مواقف نشيطي حركات إقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى تسيطر على حاخامات المستوطنين، كما ظهرت مواقف دينية في صفوف المستوطنين تشير أن الانسحابات التي قامت بها حكومة إسرائيل في الضفة الغربية جاءت كعقاب رباني على ابتعاد اليهود عن المسجد الأقصى الذي طالبت به فتاوى الحاخامات حتى الآن. ففي تصريح ليسرائيل روزين، رئيس معهد «تسومت» وهو أحد المعاهد التي يهتم بصعود اليهود إلى المسجد الأقصى وإقامة الهيكل، قال فيه «أن الانسحاب الأول (الانسحاب من أريحا عام ١٩٩٤) جاء بسبب غياب السيادة الإسرائيلية الفعلية على «هار هبايت»، فغياب هذه السيادة أدى إلى خسارة السيطرة الإسرائيلية على أريحا». أما الحاخام دوفليئور، حاخام مستوطنة كريات أربع ومن القيادات الدينية البارزة للصهيونية الدينية والمستوطنين، فقد قال في السياق نفسه، «نحن الذين نؤمن بالجزاء والعقاب والعناية العليا، علينا أن نعلم أن أحد الأسباب المركزية التي نتعذب بسببها، هي اللامبالاة الكبيرة في صفوف أجزاء كبيرة من شعبنا اتجاه هار هبايت عموما وبناء الهيكل خصوصا».[٢٤]

ظهر إلى جانب المنظمات والحاخامات الذين طالبوا بإقامة الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، فريق من الحاخامات الذين دعوا إلى الالتزام بالقانون، وكان منهم الحاخام يهوشوع تسوكرمان، والحاخام يوئيل بن نون، وتبعهما معظم المربين في المدارس الدينية القومية الذين تصدوا لخطة تفجير المسجد الأقصى، وحذروا من عواقبها السلبية. وكان منهم من هاجم فكرة تسريع الخلاص، باعتبارها تدخلا في المشيئة الإلهية، ومن بين هؤلاء كان الحاخام ابينير مؤسس المدرسة الدينية «عطيرت كوهنيم» في القدس،

ففي استطلاع للرأي حول مواقف اليهود (شملت العينة ٥٢٣ شخصا فوق سن ١٨)، أجري في العام ٢٠١٣، تبين أن ٣٠٪ من اليهود يؤيدون بناء هيكل في الحرم القدسي الشريف، مقارنة مع ٢٢٪ أيدوا ذلك في العام ٢٠١٢. كما أيد ٥٩٪ من اليهود فكرة فرض تقسيم الحرم القدسي الشريف بين اليهود والفلسطينيين كما هو الحال في الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل، ولم يظهر الاستطلاع فرقا بين المتدينين والعلمانيين في مسألة شغفهم للصعود إلى المسجد الأقصى (٦٨٪ من المتدينين و-٦٠٪ من العلمانيين).

وكان ادعائه، هو التمييز بين قضية بناء الهيكل وبين الموقف من احتلال مناطق أو أجزاء أخرى من القدس، فهو من جهة يحذر من الانعكاسات السلبية على المساس بالمسجد الأقصى، لكنه من جهة أخرى يدعو إلى احتلال أجزاء من المدينة من خلال الاستيطان والتهويد.[٢٥]

يمثل الحاخامات شلومو افنير وتسفي طاو، استمرارا لموقف الحاخام كوك الابن الذي يعارضون صلاة اليهود في المسجد الأقصى ويعتبرون أن احتلال الأرض واستيطانها وبسط السيادة اليهودية عليها، أهم من صلاة اليهود في المسجد، ويعتبرون أن مرحلة بناء الهيكل تتطلب أولا مجيء الملك، إقامة مملكة إسرائيل، ومن ثم بناء الهيكل. في مقابل هذا التيار الديني. تحول المركز الديني الصهيوني إلى تيار داعم للسيطرة على المسجد الأقصى دينيا، وإكمال السيطرة السياسية بسيطرة دينية. فمثلا، الحاخامات يتسحاق غينزبرغ ويتسحاق شبيرا ويوسف فلاي، أصدروا الكثير من الكتب حول بناء الهيكل (مثل: حراس الهيكل، في حق الدخول لجبل الهيكل واستعادة الهيكل وغيرها)، ويدفعون بأبناء التيار الديني بالمشاركة في مسيرات حول المسجد الأقصى وإطلاق البوق الديني (شوفار).[٢٦]

ساهمت نشاطات المستوطنين وخطابهم نحو تهويد الحرم القدسي الشريف، وحثهم مطالب صعود اليهود إلى باحات المسجد الأقصى، ومطالبة قسم آخر منهم ببناء الهيكل، إلى زيادة تأييد الشارع اليهودي لهذه المطالب، ففي استطلاع للرأي حول مواقف اليهود (شملت العينة ٥٢٣ شخصا فوق سن ١٨)، أجري في العام ٢٠١٣، تبين أن ٣٠٪ من اليهود يؤيدون بناء هيكل في الحرم القدسي الشريف، مقارنة مع ٢٢٪ أيدوا ذلك في العام ٢٠١٢. كما أيد ٥٩٪ من اليهود فكرة فرض تقسيم الحرم القدسي الشريف بين اليهود والفلسطينيين كما هو الحال في الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل، ولم يظهر الاستطلاع فرقا بين المتدينين والعلمانيين في مسألة شغفهم للصعود إلى المسجد الأقصى (٦٨٪ من المتدينين و-٦٠٪ من العلمانيين).[٢٧] ويعتبر ذلك تعبيرا عن تغلغل مطالب مجتمع المستوطنين إلى المجتمع الإسرائيلي. ويشير مناحيم كلاين، وهو عضو إدارة جمعية عير عميم، التي تعمل لتحقيق المساواة والتفاهم في القدس بين الفلسطينيين واليهود (ولكنها لا تتحدث عن تقسيم المدينة)،[٢٨] إلى التحول الذي حدث في خطاب المستوطنين اتجاه المسجد الأقصى ، ويشير إلى أن «سياسيي المعراخ (حزب العمل اليوم) في سنوات السبعينات باتوا أسرى الخطاب الناري لحنان بورات، ورأوا في مستوطني الضفة الغربية «الشيء الحقيقي»: طلائعيون كما كانوا هم في شبابهم»... «للمطالبين بجبل الهيكل لا يوجد حدود، فهو يدخلون إلى الحرم ويصلون، ويرغبون بتشييد هيكل هناك وفرضه على العالم الإسلامي وتغيير الوضع القائم، وهنالك أيضا من قرروا أن «الشيء الحقيقي» أصبح إقامة الهيكل الثالث في هذا المكان وتجديد طقوس الأضحية»..... «الشيء المشترك لكل الباحثين عن «الشيء الحقيقي»، هو الدمج بين الفاعلية الصهيونية مع اليهودية، في الماضي تمردت الصهيونية على الدين السلبي الذين كان ينتظر المشيح، وجاءت كبديل له. أخذت حركة غوش ايمونيم الفاعلية الصهيونية وبمساعد أجهزة الدولة، نقلتها إلى الملعب اليهودي-المسياني. تحولت اليهودية من مصدر إيحاء إلى أمر تنفيذي وفعل، مرة تم تفعيل هذه المعادلة على هضاب هشومرون، واليوم تتوجه إلى هار هبايت».[٢٩]

أدت التحولات في الصهيونية الدينية إلى مركزية المسجد الأقصى في الفكر الخلاصي، في استطلاع أجري في صفوف أبناء الصهيونية الدينية عبر ٧٠٪ منهم عن رغبتهم بدخول المسجد الأقصى، فلم يعد يسمى من يدعو إلى ذلك بالمجنون، بل بات جزءا من تيار مركزي.٣١ أثرت هذه التحولات ليس فقط على خطاب الصهيونية الدينية، بل أيضا على الخطاب السياسي عموما، قبل الأحداث الأخيرة في القدس، والهبة الشعبية، أيد الكثير من أعضاء الليكود ووزرائه تغيير الوضع القائم والسماح لليهود للصلاة في المسجد الأقصى .

خلاصة

جاءت فتوى حاخامات المستوطنين عام ١٩٩٦، تعويضا عن تآكل المنظومة المسيانية التقليدية، وتنبع أهمية هذه الفتوى بأنها لم تحكم على نفسها أو استمرارها بسياقات ولحظات تاريخية مرت بها إسرائيل بعد ذلك، مثل اندلاع الانتفاضة ، التي انطلقت من الأقصى وزيادة التوتر حول المسجد الأقصى، كما لم يردعها خروج الارثوذكسية اليهودية ضدها، وتحميل حاخاماتها مسؤولية الدماء والاخلال بالأمن والنظام العام لمؤيدي دخول وصلاة اليهود في المسجد الأقصى. لماذا نقول ذلك؟ في عام ١٩٩١ أصدر حاخام «حباد»، ميلوفيفتش فتوى لمريديه وتلامذته بالاستعداد للاحتفال في المسجد الأقصى، وشكلت الفتوى ثورة دينية في الارثوذكسية اليهودية، إلا أنه تراجع عنها عندما اندلعت أحداث الأقصى في العام نفسه، وقتل فيها مسلمون برصاص قوات الشرطة والأمن، واعتبر أن الحفاظ على دماء اليهود والأمن العام أهم من صلاة اليهود في المسجد الأقصى.[٣٠]

أدت التحولات في الصهيونية الدينية إلى مركزية المسجد الأقصى في الفكر الخلاصي، في استطلاع أجري في صفوف أبناء الصهيونية الدينية عبر ٧٠٪ منهم عن رغبتهم بدخول المسجد الأقصى، فلم يعد يسمى من يدعو إلى ذلك بالمجنون، بل بات جزءا من تيار مركزي.[٣١] أثرت هذه التحولات ليس فقط على خطاب الصهيونية الدينية، بل أيضا على الخطاب السياسي عموما، قبل الأحداث الأخيرة في القدس، والهبة الشعبية، أيد الكثير من أعضاء الليكود ووزرائه تغيير الوضع القائم والسماح لليهود للصلاة في المسجد الأقصى . وقد انضم فاعلون مركزيون في موضوع المسجد الأقصى إلى حزب الليكود للتأثير من الداخل على توجهات الليكود نحو تغيير الوضع القائم، مثل موشي فيغلين، يهودا غليك وغيرهم. لقد تغلغل الفكر الصهيوني الديني إلى الليكود اليميني المحافظ.

يشير النقاش حول مركزية المسجد الأقصى بين تيار السيادة السياسية وتيار الخلاص الديني في المشروع الصهيوني، إلى تآكل مفهوم الهوية الإسرائيلية وصعود الهوية الدينية. إن انشغال أعضاء الليكود القوميين بموضوع المسجد الأقصى نابع من تجديد الهوية القومية بحيث يطمح هؤلاء إلى التأكيد على الطابع الاثني اليهودي في المجتمع والدولة، وهو يشبه أحزاب اليمين المتطرف في أوروبا التي تسوغ منظومتها الاخلاقية من خلال المرجعية الدينية. فقد تحول المسجد الأقصى (جبل الهيكل) إلى قوة جاذبة قومية ودينية في مشروع اليمين.

هوامش

١ . لا بد من التوضيح الاصطلاحي لمفهوم «المسجد الأقصى المبارك» في المخيال الوطني الفلسطيني والخطاب الديني الاسلامي، يشمل مفهوم المسجد الأقصى، وهو ما سنتبناه في هذا البحث، المنطقة التي تصل مساحتها ١٤٠ دونما، وتشمل باحات وساحات ومساطب وأبنية المسجد الأقصى بما في ذلك مسجد قبة الصخرة، والمسجد المقابل له. وقاعات الصلاة تحت ساحات المسجد الأقصى مثل المصلى المرواني.

٢ . موطي عنباري، الأصولية اليهودية وهار هبايت، القدس: الجامعة العبرية، ٢٠٠٧، ص:١.

٣ . المصدر السابق.

٤ . تومر برسيكو، لماذا يريد الجميع فجأة الصعود لجبل الهيكل؟، ملحق هآرتس، ٢٠١٤/١١/١٤.

٥ . نداف شرغاي، جبل الصراع: الصراع على جبل الهيكل- يهود ومسلمون دين وسياسة، القدس: منشورات كيتر، ١٩٩٥، ص: ٥٠.

٦ . نداف شرغاي، مصدر سابق، ص: ١٦.

٧ . عفري ايليني، إذا استطاع الصليبيون، يستطيع نتنياهو أيضا، ملحق هآرتس، ٢٠١٥/١٠/١٦، ص: ٤٢.

٨ . المصدر السابق.

٩ . عنباري، مصدر سبق ذكره، ص:١٥.

١٠ . مهند مصطفى، المستوطنون من المركز الى الهامش، رام الله: مركز مدار الفلسطيني، ٢٠١٣.

١١ . عنباري، مصدر سبق ذكره، ص: ١٦.

١٢ . مقتبس من عند عنباري، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩.

١٣ . المنشور مأخوذ من ملحق صحيفة هآرتس، ٢٠١٤/١١/١٤.

١٤ . عقيبا الدار وعديت زرطال، أسياد البلاد: المستوطنون ودولة إسرائيل ١٩٦٧-٢٠٠٤، ترجمة: عليان الهندي (٢٠٠٦، بدون مكان ودار نشر)، ص: ٢٤٤. أنظر أيضا: داني روبينشطاين، غوش ايمونيم، (تل أبيب: كاف ادوم، ١٩٨٢) ص: ٦٥-٦٩.

١٥ . رخلبسكي، ١٩٩٨، ص: ٥٨، مقتبس من: عزيز حيدر، «ظاهرة الييشيفوت (المدارس الدينية) القومية: نشوؤها، تطورها ونتائجها الاجتماعية والسياسية»، مجلة قضايا إسرائيلية، عدد ٨، خريف ٢٠٠٢، ص: ٨١ (٧٤-٨٥).

١٦ . يوآف بيلد وغابي شفير، من هو الإسرائيلي: ديناميكية المواطنة المركبة (تل أبيب: جامعة تل أبيب، ٢٠٠٥)، ص: ١٧٣.

١٧. عنباري، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠.

١٨. تومر برسيكو، مصدر سبق ذكره.

١٩. توم سيغف، ١٩٦٧: والأرض غيرت وجهها، (تل أبيب: منشورات كيتر، ٢٠٠٥)، ص:٥٧٦.

٢٠. نداف شرغاي، مصدر سبق ذكره، ص: ٦١-٦٢.

٢١. توم سيغف، مصدر سبق ذكره، ص:٥٧٦-٥٧٧.

٢٢. مقتبس عند: نور مصالحة، «الاستيطان التبشيري- اليهودي والفلسطينيين: السياسة الجغرافية، المستوطنات، المؤسسات والثقافة لدى غوش ايمونيم»، في: اسعد غانم (محرر). الهويات والسياسة في إسرائيل، (رام الله: مركز مدار، ٢٠٠٣)، ص: ١٣١.

٢٣. موطي عنباري، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٦-٢٧.

٢٤. المصدر السابق، ص: ٢٧.

٢٥. عزيز حيدر، «ظاهرة الييشيفوت (المدارس الدينية) القومية: نشوؤها، تطورها ونتائجها الاجتماعية والسياسية»، مجلة قضايا إسرائيلية، عدد ٨، خريف ٢٠٠٢، ص: ٨٣-٨٤ (٧٤-٨٥).

٢٦. رحيل اليئور، ثمن المسيانية، مجلة كيفونيم حداشيم (توجهات جديدة)، عدد ٣٢، ٢٠١٥، ص: ٤١.

٢٧. أنظر تفاصيل الاستطلاع في:نير حسون، «ثلث من اليهود في البلاد يؤيدون إقامة الهيكل»، هآرتس، ٢٠١٣/٧/١٢، ص:١٩.

٢٨. أنظر موقع الجمعية: www.ir-amim.org.il

٢٩. مناحيم كلاين، «الشيء الحقيقي»، هآرتس، ٢٠١٣/٧/١٠، ص: ١٣.

٣٠. نداف شرغاي مصدر سبق ذكره، ص: ٦٠.

٣١. كرني الداد، كيف تحول جبل الهيكل، الى جزء لا يتجزأ من النقاش العام، معاريف ٢٠١٥/٧/٢٨، أنظر الرابط: http://www.maariv.co.il/news/israel/Article-490843